سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ
هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ
۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا
كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ
سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ
وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨ ﴾

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى: (قسم) بالنجم إذا غرب وسقط.

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ: ما عدل الرسول عن الحق والهدى (جواب القسم).

وَمَا غَوَى: ما اعتقد باطلا قط.

شَدِيدُ القُوَى: أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ذُو مِرَّةٍ: قوة أو خلق حسن أو آثار بديعة.

فَاسْتَوَى: فاستقام على صورته الخلقية.

دَنَا: قرب جبريل من النبي ﷺ.

قَابَ قَوْسَيْنِ: قدر قوسين أو ذراعين من النبي ﷺ.

عَبْدِهِ: عبد الله وهو محمد ﷺ.

أَفَتُمَارُونَهُ: أتكذبونه فتجادلونه ﷺ .

نَزْلَةً أُخْرَى: مرة أخرى في صورته الخلقية.

سِدْرَةِ المُنتَهَى: التي تنتهي إليها علوم الخلائق.

جَنَّةُ المَأْوَى: مقام أرواح الشهداء.

يَغْشَى السِّدْرَةَ: يغطيها ويسترها.

مَا زَاغَ البَصَرُ: ما مال بصره عما أمر برؤيته.

وَمَا طَغَى: ما جاوزه إلى ما يؤمر برؤيته.

لَقَدْ رَأَى: ليلة المعراج.

القسم بالنجم إذا هوى - أي انحدر للغروب - فيه إشارة إلى النظام المحكم الدقيق لحركة النجوم والكواكب في الفضاء الهائل، ونظام الكواكب والنجوم هذا واحد من أنظمة الكون المادي التي تتسم بمنتهى الدقة والانضباط، بحيث لا يعتريها أدنى خلل أوْ اضطرابٍ أبداً، مما يتضمن قرينة توحي بأن النظام الروحاني الذي أنشأه الله - سبحانه وتعالى - في صورة الوحي النبوة لابد وأن يكون هو الآخر نظاماً محكماً دقيقاً كذلك.

وتجربة الرسول، من خلال الوحي والملك، تجربة حقيقية واقعة؛ يكفي لإثبات صحتها بيان القرآن وحده، فكلام القرآن المعجز يبرهن على كونه كتاب الله، وإذا أثبت كونه كتاباً إلهياً، فإن كل ما ورد في القرآن الكريم سيُعتبر، فور وروده فيه، بياناً صادقاً موثوقاً به لا يقبل الجدل والمراء !

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝ ﴾

أَفَرَأَيْتُمُ: فأخبروني ألهذه الأصنام قدرة.

اللاَّتَ وَالْعُزَّى: أصناماً كانوا يعبدونها في الجاهلية.

وَمَنَاةَ: أصناماً كانوا يعبدونها في الجاهلية.

قِسْمَةٌ ضِيزَى: جائرة أو عوجاء.

أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى: بل إله كل ما يشتهيه – لا.

اللات والعزى ومناة من أصنام العرب في الجاهلية، وقد كانت اللات بالطائف، والعزّى بنخلة بين مكة والطائف، وأما مناة فكانت عند قديد على مقربةٍ من يثرب، وكانوا يعتقدون أن هذه الثلاثة بنات الله، ومن ثم كانوا يعبدونها، والحق أن عقيدة كهذه لا تعدو أن تكون محض فرضية باطلة لا تستند إلى أساسٍ، وهي مناقضة لذاتها، حيث كان أولئك المشركون يكرهون ولادة البنات لأنفسهم، فما أغربه من زعم وأكثره إثارةً للعجب والدهشة أن الله الذي هو خالق البنين والبنات كليهما، يتخذ لنفسه من الولد – لو أراد على سبيل الافتراض – إناثاً دون الذكور !!

﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ ﴾ شرح ذلك شاه عبد القادر الدهلوي بقوله : "يعني هل ينال الإنسان من عبادة الأصنام والأوثان شيئاً؟ كلا ! وإنما يناله فقط ما يعطيه الله، الذي هو وحده مالك الدنيا والآخرة بلا شريك !!"

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ

لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ
﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾
فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ
ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ: لا تدفع، أو لا تنفع.

إن اتخاذ الأصنام المنحوتة من الحجر آلهةً تعبد من دون الله، ووصف الملائكة بأنهم بنات الله، والأمل في دخول الجنة بناءً على الشفاعات المزعومة، كل هذه معتقدات غير جادة، والمعتقدات غير الجادة تنشأ دوْماً في العقل الفارغ من خوف المؤاخذة، والخوف قاتل للغو وفضول الكلام، فمن يخلو من الخوف لا يلبث أن يتحول مخه – بطبيعة الحال– إلى مصنع لفنون اللغو والعبث .

والذين أصيبوا بنفسية اللاخوف من العبث أن تخوض معهم في جدالٍ أوْ مناقشةٍ فكرية، فإنهم قلما يعيرون الدليل والمنطق أي اهتمام، وبالتالي لا يكادون يستعدون للإذعان إلى أمر الحق فالأفضل الإعراض عنهم . بيْد أن الله – سبحانه وهو خالق البشر – خبير بحقيقتهم، مطلع على أحوالهم الظاهرة والخفية كلها، وإنه تعالى سيجازي كل أحد بحسب ذلك جزاء وافياً عادلاً !

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ
ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ
رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ
أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾

وَالْفَوَاحِشَ: ماعظم قبحه من الكبائر.

اللَّمَمَ: صغائر الذنوب.

فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ: فلا تمدحوها بحسن الأعمال.

إن هذا الكون الفسيح وما نشهد فيه من نظامٍ متناهٍ في الإحكام والإتقان ليدل على أن خالقه ومالكه إله قوي جبار إلى حدٍ لا يحيط به الوصف، وهذه الواقعة في ذاتها تكفي لإدراك أنه سيؤاخذ الإنسان حتماً، وعندما يؤاخذ الإنسان فلن يمكنه أن يفلت من قبضته بأي حيلةٍ من الحيل .

وحيث إن الإنسان مخلوق يعاني من شتى ألوان الضعف والنقائص هي مقتضى بشريته، لم يكن مطالباً بأن يقيم الدليل على طهارة مطلقة عن المعاصي كما هو شأن الملائكة الأبرار ، والله - سبحانه وتعالى - إذْ تفضل على الإنسان بإيضاح ما يجب عليه أن يتركه ، فقد أعفاه من "اللّمم " ، وهو يعني : تورط الإنسان في بعض المعاصي والذنوب تحت عاطفة وقتية قاهرةٍ ، بشرط أن يشعر من فوره بالندم على ما اقترفه من سوء فيرجع إلى ربه تائباً، ومستغفراً !

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾

وَأَكْدَى: قطع عطيته بخلا.

الَّذِي وَفَّى: أتم وأكمل ما أمر به.

تَزِرُ وَازِرَةٌ: لا تحمل نفس آثمة.

الْمُنتَهَى: المصير في الآخرة للجزاء.

هناك أناس كثيرون يرغبون إلى الحق قليلاً، ثم لا يلبثون أن تغلب عليهم مصالحهم المادية، فإذا بهم ينقلبون على أعقابهم راجعين إلى ما كانوا عليه قبلئذٍ، وربما يصطنع هؤلاء بعض العقائد الجميلة تبريراً لمواقفهم الخاطئ، ولكن هذا التبرير إنما يضاعف قبح جريمتهم، لأنه بمثابة زيادة الطغيان على الخطأ !!

والحقيقة التي كشفها الله سبحانه وتعالى بواسطة رسله تتلخص في أن كل إنسان مجزي بعمله لا محالةَ، فلا أحد يستطيع أن ينقذ نفسه أوْ غيره من عاقبة ما قدمت يداه، وعليه، فليس ثمة أشد غباء وحماقةً في هذا العالم من الذين لا يتنبّهون ولا يفيقون من غفلتهم رغم هذا التحذير الإلهي المتكرر على ألسنة الأنبياء على تعاقب العصور والأجيال، والذي تم إعلانه مجدداً وبصورة نهائية من خلال هذا القرآن الكريم !!

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾

تُمْنَى: تدفق في الرحم.

النَّشْأَةَ الأُخْرَى: الإحياء بعد الإماتة كما وعد.

وَأَقْنَى: أفقر، أو أرضى بما أعطى.

الشِّعْرَى: كوكب معروف كانوا يعبدونه في الجاهلية.

كل واقعة من وقائع الدنيا تتعلق بأسباب ما ورائية فوق الطبيعية، بحيث لا يقدر

على إظهارها أحد غير الله - عز وجل - فالحياة والموت، والسرور والحزن، والغنى والفقر، وما يلاحظ في هذا الكون من نظام بديع مدهش ، كل ذلك من مظاهر قوة أسمى وأعظم ، وقد كان الإنسان في قديم الزمان ينظر إلى النجوم على أنها علة الحياة ، ثم جاء العصر الحديث الذي برزت فيه فلسفات ومذاهب اعتبرت نواميس الطبيعة علة الوجود والحياة ، ولكن الحقيقة أن هناك علةً أيضاً وراء هذه العلل والأسباب الظاهرة، ألا وهي الله رب العالمين ، فكيف يسوغ للإنسان إذن، أن يجعل من أحدٍ سواه مركز اهتمامه وتوجهاته !!

﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝ ﴾

عَاداً الأُولَى: قرى قوم هود ﷺ.

وَثَمُودَ: قرى قوم صالح ﷺ.

وَالْمُؤْتَفِكَةَ: قرى قوم لوط ﷺ.

أَهْوَى: أسقطها إلى الأرض بعد رفعها.

فَغَشَّاهَا: ألبسها وغطاها بأنواع من العذاب.

آلاءِ رَبِّكَ: نعمه تعالى ودلائل قدرته.

تَتَمَارَى: تتشكك.

إننا نرى في الأرض شعباً يحالفه التوفيق للأخذ بأسباب الرقي والتقدم، فلا يلبث أن يبرز ويتفوق على الشعوب الأخرى، لدرجة يكاد يبدو معها مستحيلاً أن يقهره أوْ

يتغلب عليه أحد ، ثم تظهر بعد ذلك عوامل شتى تتسبب في تعريض هذا الشعب الراقي، وهو في قمة مجده وازدهاره، للفناء أو التدهور والانحطاط بحيث يعود حديثاً يُروى وموضوعاً لا يهم إلا المؤرخين !! وهذه الواقعة تدل على أن هناك قوة فوق البشر هي التي تحسم مصائر الشعوب والأمم ، ولو أن وقائع التاريخ الصارخة هذه لم تنجح في فتح عيون الإنسان، فمن أي واقعةٍ بعدها سيستفيد الإنسان درساً أوْ عبرةً !؟

﴿ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢ ﴾

أَزِفَتِ الآزِفَةُ: اقتربت الساعة ودنت.

كَاشِفَةٌ: نفس تكشف أهوالها وشدائدها.

وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ: لاهون غافلون.

يتضح من تاريخ الأنبياء والمرسلين، كما حكاه القرآن الكريم، أن إنكار الحق وعاقبته الوخيمة ملتصقان أحدهما بالآخر كإصبعين من أصابع اليد ، فلو كان ضمير المرء حياً لرأى بطش الله قادماً نحوه حالما يضع أولى خطواته على طريق الإنكار والطغيان، فلا يلبث بالتالي أن يعود لتوِّه إلى حظيرة الطاعة والانقياد منصرفاً عن اتجاه الطغيان، غير أن الإنسان غارق في اللهو والغفلة إلى حد أنه لا يكاد يرى حتى الشيء الماثل أمام ناظريْه !!